علاقات دولة الانباط بمصر في ظل الاحتلالين البطلمي والروماني ٣١٣ ق.م - ١٠٦ م

أ.م.د. خضير عباس الجميلي
كلية الآداب - جامعة بغداد

تمهيد :

أنه لمن الصعب أن يحدد الباحث تاريخاً معيناً لبداية العلاقة بين العرب في بلادهم شبه جزيرة العرب وبلاد مصر ، الا أن معظم الباحثين المحدثين أن لم نقل جميعهم وبغض النظر عن ميولهم ونزعاتهم ومذاهبهم - متفقون على أن هذه العلاقة تضرب بجذورها عميقاً في التاريخ القديم وأنها تعود إلى حقب طويلة قبل ظهور الإسلام(١).

وهنالك من يشير إلى الصلة العرقية الوثيقة بين المصريين القدماء والعرب إذ ينتمي كل منهما إلى سلالة البحر الأبيض المتوسط وهذه السلالة هي التي انتشرت في بلاد العرب وغرب آسيا فيما بعد(٢). ولربما أقدم إشارة لعلاقة العرب بمصر تلك التي ذكرها (بلينى Pling) وهي أن سكان مصر القدامى الذين عبدوا الإله (حورس) كانوا عرباً هاجروا من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر عن طريق ميناء (مصوع) ومنه توجهوا شمالاً سالكين طريق الحمامات حيث انتهوا إلى بلاد مصر ، كما أن جاليات عربية قديمة هي التي قامت ببناء معبد الشمس بالقرب من مدينة (ممفس) . ولا يعرف تاريخ هجرة هذه الجاليات وفضلاً عن ذلك فقد وجدت جاليات عربية كثيرة أستقرت منازلها في المنطقة المحاذية لنهر النيل من (أسوان) شمالاً إلى (مروى) جنوباً(٣).

أن هذه المعلومات المهمة وإن كانت بحاجة إلى توثيق تاريخي أكثر لكنها تعدّ مؤشراً واضحاً للعلاقات الفعلية المتبادلة بين سكان الجزيرة العربية وبلاد مصر وقد توضحت بشكل أكثر هذه العلاقات وأزدادت الهجرات العربية إلى بلاد مصر خلال العهد المعيني وخلال العهد السبتي الذي أعقبه (١٥٠٠-٣٠٠ ق.م) إذ أن العرب الجنوبيين أحتكروا التجارة البحرية والبرية بين الشرق والغرب وكانت لهم موانئ تجارية عدة على ساحلي البحر الأحمر ابتداءاً من مضيق باب المندب صعوداً الشمال حتى خليج السويس[٤].

وتدل النقوش التي تم الكشف عنها عن قيام هجرات عربية من بلاد اليمن عبر البحر الأحمر خلال حقب متعاقبة ويعود تاريخ بعض هذه الهجرات إلى القرن الخامس قبل الميلاد ثم اعقبتها هجرات أخرى وبشكل متواصل حتى يمكن القول أنه تكاد لا تخلو حقبة بعد هذا التاريخ من هجرة عربية إلى الساحل الأفريقي عبر البحر الأحمر حيث أستقرت هذه الهجرات في مناطق شرق أفريقيا[٥].

ولم يكن اتصال العرب بمصر عبر البحر الأحمر فقط بل أن الطريق التجاري البري الذي يربط شبه جزيرة العرب بمصر والمار عبر سيناء كان من الوسائل التي سهلت مهمة هجرة القبائل العربية إلى مصر في ضمن القوافل التجارية التي كانت تسير إلى مصر ، ولعل كثرة الموجات العربية التي أجتاحت مصر الشرقية عبر العصور هي التي دفعت بعض الكتاب من اليونان بإطلاق أسم الصحراء العربية على الجزء الشرقي من مصر بين نهر النيل والبحر الأحمر[٦] وما يزال يسمى بهذا الاسم إلى الوقت الحاضر .

ونتيجة لهذه الهجرات العربية التي نجم عنها توطيد أقدامهم في مصر منذ حقب قديمة جعل المؤرخين اليونان ومنذ عهد (هيرودتس) يعدون أغلب الغزوات التي دخلت إلى مصر من الشرق وعبر سيناء بأنها غزوات عربية ويعدّون الملك سنحاريب (ت ٦٨١ ق.م) ملكاً عربياً يقود جيشاً عربياً[٧].

وعندما حدث الغزو اليوناني الكبير في عهد الاسكندر المقدوني إلى مصر عام ٣٣٢ ق.م كانت المنطقة الواقعة حول مدينة (هيروبوليس) تسمى بالمنطقة العربية مما يدل على قبائل عربية كثيرة قد استوطنت هناك منذ زمن بعيد وقد رسخت مواطنها هناك فعرفت المنطقة باسمها إذ عين الأسكندر عليها حاكماً خاصاً أطلق عليه لقب (Arabarch) وكان مسؤولاً عن الشؤون المالية في كل أنحاء مصر[٨] .

وبعد وفاة الأسكندر وقيام دولة البطالمة كان للعرب دور واضح وملموس في شؤون مصر خلال العهد البطلمي كله ، إذ أن جاليات عربية جديدة من شمال جزيرة العرب وسوريا قد عبرت سيناء وأستقرت في مصر خلال هذه الحقبة[٩] الا أن المعلومات عن هذه الهجرات قليلة جداً بل أنها من الندرة مما يتعذر على الباحث أن يكون فكرة عن مدى أثر هذه الهجرات على مصر أو على أثر مصر على العرب في شبه جزيرتهم . وأن هذا البحث سوف يتناول علاقة مصر ببلاد الأنباط خلال الحقبة التي أعقبت دخول اليونان إلى مصر وحتى نهاية دولة الأنباط على يد الرومان سنة ١٠٦ م.

علاقة الأنباط بمصر في ظل الأحتلال البطلمي :

عندما ظهر الأنباط على مسرح التاريخ كانت الدولة الكبرى التي أنشأها الإسكندر المقدوني[١٠] قد اقتسمها خلفاؤه فوقعت مصر من نصيب بطليموس وأصبحت بلاد الشام مجالاً للصراع بين السلوقيين والبطالمة وكانت الخطوط التي تفصل بين هاتين الدولتين في بلاد الشام تتجه شمالاً أو تحدر جنوباً بين كل حقبة وأخرى ، وبعد عام ٣١٢ ق.م بداية التقويم السلوقي ومن الغريب أن تتم في هذا العام نفسه أول محاولة سلوقية لإخضاع دولة الأنباط بعد أن خضع كل ما عداها من بلاد الشام للسيطرة اليونانية . وبعد سنوات قليلة جداً أخذ البطالمة يتحرشون بالأنباط[١١] .

لقد عمل الأنباط على تطوير قدراتهم وأمكاناتهم فضلاً عن علاقاتهم فأنهم لم يكتفوا بنقل المتاجر برأ بل بنوا لأنفسهم سفناً وأخذوا يبلغون موانئ اليمن نفسها لينقلوا بضائعهم التجارية من هناك إلى الميناءين الشماليين على رأس البحر الأحمر وهما (الحوراء)[١٢] و (ايله)[١٣] وبذلك تضاعفت قدراتهم التجارية وازدادوا في الثراء[١٤] وقد أصبحوا محط أطماع الدولتين السلوقية في بلاد الشام والبطلمية في بلاد مصر وليس هذا فقط بل أن أهتمام السلوقيين والبطالمة توجه إلى جزيرة العرب كلها مما كان له أثر كبير في تأجيج الصراع العنيف الذي نشب بين الطرفين ولمدة طويلة[١٥].

أن من أقدم الأخبار عن علاقة الأنباط مع مصر تلك التي تتحدث عن تجارتهم مع مصر بمادة الأسفلت التي كان النبطيون يستخرجونها من السواحل الشرقية للبحر الميت فيحملونها إلى مصر لبيعها هناك[١٦] إذ كانوا يستعملونها في مصر لتحنيط جثث الموتى[١٧].

كان للأنباط نشاط تجاري واسع مع مصر وذلك عن طريق نقل تجارة البخور وأن هذا النشاط كان يمر عبر طريقين الأول بري عبر سيناء والثاني بحري ، ويمكننا أن نتلمس هذا النشاط من خلال النقوش النبطية التي تم العثور عليها في بلاد مصر إذ هناك مجموعة من النقوش النبطية الموزعة على منطقة واسعة تشمل وادي الجضامي ووادي حمامة ووادي أم ضلفة ووادي أم عنب وغيرها[١٨].

وقد أبدى البطالمة اهتماماً لمصالحهم والتضييق على الأنباط وإنهاء دورهم التجاري من خلال محاولة إخضاعهم لنفوذهم عسكرياً ولما وجدوا صلابة الأنباط وقوتهم في الدفاع عن استقلال وحماية مصالحهم فقد اقتنعوا ومعهم السلوقيون أيضاً في بلاد الشام بعدم جدوى استخدام القوة العسكرية لأخضاعهم لذا عمدوا إلى وسيلة أخرى ولم يجدوا أجدى نفعاً من وسيلة الضغط الاقتصادي أو التضييق الاقتصادي على الأنباط وقد برع البطالمة في هذا المجال بصورة

واضحة فحاصروا الأنباط عن طريق الاستيلاء على المدن الفينيقية وموانئ فلسطين التي كانت تنتهي إليها القوافل النبطية[١٩] وأحتل البطالمة ميناء (ايلات – ايله) على الخليج الإيلاتي (العقبة) وبذلك حرموا الأنباط من الوصول إلى البحر الأحمر وسيطروا على منطقة عمّان ولعلهم أيضاً سيطروا على كل من منطقتي موآب وجبلة إلى الشمال من بترا[٢٠].

ولم يكتف البطالمة بهذا بل أنهم توجهوا لدراسة أحوال الجزيرة العربية فكان الكتاب والجغرافيون يقدمون للحكام البطالمة المعلومات التفصيلية عن جزيرة العرب سواء كانت هذه المعلومات عن طرق التجارة أم عن أقسام جزيرة العرب أم عن القبائل العربية ومنازلها خاصة تلك التي تقيم على الطرق التجارية[٢١] وفي هذا المجال نجد أن ثاني ملوك البطالمة (بطليموس فيلاديفوس – ٣٠٨-٢٤٦ ق.م) قد ارسل (ارستون Ariston) ليكتشف له ساحل الجزيرة العربية المطل على البحر الأحمر من شماله إلى جنوبه حتى مضيق باب المندب[٢٢] .

وقام هذ الملك أيضاً بحفر قناة تصل نهر النيل بالبحر الأحمر قرب السويس الحالية كما حاول قطع الطريق التجاري الخاص بنقل الطيوب والتوابل عن (بترا Petra) عاصمة الأنباط عقاباً لهم بسبب انضمامهم إلى جانب السلوقيين في الصراع البطلمي السلوقي آذان بطليموس ساطر ٣٢٢-٢٨٣ ق.م أرسل جيشاً إلى سلوقس نيفاطور ٣١٢-٢٨٠ ق.م فخرج الجيش من مصر واجتاز سيناء إلى غزا ومنها إلى البتراء وكان معظم العرب مع السلوقيين ضد البطالمة والسبب في ذلك يعود إلى أن البطالمة كانوا يحتلون أراضي أصحابها من القبائل العربية[٢٣] .

لقد صرف البطالمة مجهوداً كبيراً في سبيل السيطرة على البحر الأحمر وأنهم أنشط من السلوقيين في مجال الاشتغال بالتجارة البحرية وكانت عنايتهم توجيه التجارة من الموانئ العربية إلى السواحل المقابلة لهم والاتجار معهم

بشكل مباشر[٢٤] ومن الإجراءات التي أتخذها البطالمة لأضعاف دور الأنباط تجارياً أنهم عقدوا اتفاقية مع اللحيانيين الذين كانوا يسيطرون على (ديدان Dedan) الواقعة جنوب منطقة الأنباط وكانت هذه الاتفاقية في عهد بطليموس فلاديفوس[٢٥] حيث كان اللحيانيون يكرهون النبط لأنهم يطمعون في بلادهم ويعرقلون تجارتهم التي كانت تمر ببلاد الأنباط ولهذا لجأوا إلى البطالمة يحتمون بهم ويتوددون إليهم ليحموهم من تحكم الأنباط في شؤونهم[٢٦] ونحن نستطيع أن نتبين خطوة أخرى في هذا الاتجاه العام فيما أقدم عليه أهل مدينة (ميليتوس Miletos) اليونانية من إقامة مستوطنة (امبلوني Ampelone) على ساحل جزيرة العرب كميناء بحري لديدان[٢٧].

وكذلك نلمس اهتمام البطالمة بموارد الجزيرة العربية ورعايتهم لعدد من المدن أو المستوطنات اليونانية على الساحل الغربي للجزيرة العربية لتأمين الخط التجاري الملاحي في البحر الأحمر وهذا يؤدي إلى أضعاف دور الأنباط ونشاطهم التجاري فضلاً عن قيام البطالمة بإنشاء مدن وموانئ عديدة على الساحل الغربي للبحر الأحمر فقد تم إنشاء ميناء (فيلوتيرا) في العصر البطلمي ومكانه الآن مرسى جواسيس الواقع جنوب مدينة سفاجة بحوالي (٢٢ كم) وهذا الميناء يرتبط بطريق بري نحو الغرب ماراً بوادي الجضامي ووادي حمامة حيث توجد النقوش النبطية ومنها يتجه إلى (قنا) على النيل[٢٨].

وأنشأ البطالمة أيضاً ميناء (ميوس هرموس Myos Hormos) ومكانه الآن ميناء أبو شعر القبلي الواقع شمال مدينة الغردقة بنحو ٢٠ كم وهذا الميناء أكثر أهمية من ميناء (فيلوتيرا) بدليل كبر حجم الحصن الموجود فيه وكثرة البقايا اليونانية والرومانية به بالنسبة لميناء (فيلوتيرا) الذي لا توجد به آثار تذكر وهناك محطات عدة بين ميناء هرموس وبين قنا على نهر النيل[٢٩] وكذلك أنشأوا ميناء (برنيقي Bernice) على البحر الأحمر لاستقبال تجارة الهند، وقد

وصلت نشاطات البطالمة إلى جزيرة سقطرى حيث انشأت فيها جملة مستعمرات يونانية(٣٠) .

لقد سعى البطالمة للسيطرة على البحر الأحمر واحتكار التجارة فيه لذلك أرسلوا حملة أحتلت أراضي دولة اللحيانيين وانشأوا في أطراف بلاد الأنباط عدة مستعمرات يونانية وبذلك أحاطوا ببلاد الأنباط وضيقوا الخناق عليهم وهيمنوا على منافذ الطرق التجارية(٣١).

ألحقت سياسة البطالمة هذه أضراراً كبيرة بتجارة الأنباط مما أضطرهم إلى مواجهة الموقف والتصدي له من أجل حماية مصالحهم وتأمين مواردهم الاقتصادية والتجارية فقاموا بشن هجمات بحرية على سفن البطالمة المتجهة إلى مصر والأستيلاء على ما فيها من بضائع وكان من نتائج ذلك وكرد فعل قوي للبطالمة فقد انشأ بطليموس الثاني قوة بحرية لحماية السفن التجارية(٣٢).

أن البطالمة قد شعروا بقوة الأنباط في البحر لذلك عملوا على تزويد سفنهم بقوات أضافية لحمايتها من هجمات الأنباط(٣٣) وقد ألحقت هذه القوات خسائر فادحة بأسطول الأنباط البحري(٣٤) ومن ثم فقد منعت الأنباط بعض الوقت من الهجمات على السفن البطلمية لكن الأنباط استغلوا فرصة انشغال البطالمة بالحرب مع السلوقيين في بلاد الشام فعاودوا مهاجمتهم للسفن البطلمية الذاهبة أو الآيبة من وإلى مصر وأن بطليموس أورغاطس الثاني (١٤٦-١١٧ ق.م) كون أسطولاً قوياً وأخذ يقوم برحلات منتظمة إلى الهند(٣٥) وهذا كله يؤدي إلى أضعاف دور الأنباط تجارياً .

وهنا لابد لنا من وقفة مع أحد المؤرخين الكلاسيكيين وهو (ديودور الصقلي) الذي وصف الهجمات البحرية التي قام بها الأنباط على السفن البطلمية بأنها أعمال تلصص وقرصنة بحرية حيث قال ((بعد أن جعل الملوك في الإسكندرية طرق البحر ميسرة لإبحار تجارتهم لم يكتف هؤلاء العرب بمهاجمة من تحطمت بهم سفنهم بل أنزلوا إلى الماء سفن [قرصنة] تطارد التجار

والمسافرين محاكين بتلك الأعمال الوحشية الجامحة للطائوريين من أهل بنطس))[٣٦].

فهذا المؤرخ يصف الأنباط الذين يدافعون عن بلادهم وتجارتهم بأنهم قراصنة ولصوص وأن أعمالهم هذه هي أعمال وحشية متناسياً لا بل متغافلاً أن اليونانيين (البطالمة) الذين جاءوا من بلاد اليونان وعبروا البحار يحملون أسلحتهم غزاةً وقتلوا أبناء البلاد وأحتلوها وقطعوا الأرزاق والأقوات عن الأنباط، كل هذا ليس قرصنة ولا لصوصية ولا أعمال وحشية في نظر ديودور الصقلي بل أن الأمر المؤسف له أن كثيراً من مؤرخينا المحدثين يرددون هذه الأقوال وكأنها حقائق[٣٧] ويبدو أن سياسة البطالمة المعادية للأنباط دفعت الأخيرين إلى التعاون مع السلوقيين في بلاد الشام ضد البطالمة فقد غزا نطيوخوس الثالث مدينة غزة سنة ٢١٧ ق.م وأيدته معظم القبائل العربية المتواجدة في بلاد الشام ولاسيما في بلاد الأنباط وسيناء لكون البطالمة يحتلون قسماً من أراضيهم فكان في جيش السلوقيين نحو عشرة آلاف مقاتل من العرب[٣٨].

أستفاد الأنباط من تعاونهم مع السلوقيين ضد البطالمة فنشطت تجارتهم مع بلاد الشام وذهب تجارهم إلى صور حيث وجدت آثارهم هناك ومن المرجح جداً أنهم تاجروا مع المدن السورية الأخرى[٣٩] وكان من نتائج الحروب بين البطالمة في مصر والسلوقيين في بلاد الشام أن سهل عملية انتشار القبائل العربية في داخل بلاد الشام وشبه جزيرة سيناء وإلى صحراء مصر الشرقية وهذا ساعد على تنامي قوة الأنباط وأزدياد نفوذهم[٤٠] وهناك إشارة إلى أن الملك الحارث الأول (١٦٨-١٤٦ ق.م) الذي كان معاصراً لأنطيوخوس السلوقي ملك سوريا وبطليموس فيلوماثر صاحب الإسكندرية وقد وقع قتال بين الطرفين غلب فيه السلوقيين البطالمة ولعل الأنباط هم الذين ساعدوهم في هذا الانتصار[٤١].

وقد تبين من خلال متابعة الصراع بين السلوقيين والبطالمة أن كلا الطرفين قد اصابهما الضعف فاضطربت أحوال الشرق عامة والهلال الخصيب خاصة فأحتل البارثيون العراق وتعرقلت التجارة المارة بالعراق وبذلك استردت الطرق التجارية في غرب الجزيرة العربية حيويتها ونشاطها وأزدادت أهميتها وبالتالي كان لها انعكاس على بلاد الأنباط فعادت بطرا إلى الأزدهار[٤٢] وهناك إشارة أيضاً إلى أن دولة الأنباط قد استفادت من هذا الوضع وأصبحت قوية في عهد الملك الحارث الثاني (١٠٠-٩٦ ق.م) حيث قام هذا الملك بالهجوم على بلاد الشام ومصر مستغلاً ضعف الأوضاع في كلا البلدين وقد غنم غنائم كثيرة[٤٣].

لقد شملت مملكة الأنباط في أوج أيامها منطقة واسعة ضمت دمشق وسهل البقاع والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران وأدوم ومدين إلى دَدَن – دَدَان وسواحل البحر الأحمر وثبت أيضاً أن جماعة منهم سكنت في الأقسام الشرقية من دلتا النيل[٤٤] . وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها البطالمة لإنهاء دور الأنباط الا أن الأنباط ظلوا يمارسون نشاطهم التجاري ولاسيما على الطريق البري الذي يربطهم مع جزيرة العرب والذي يربطهم مع مصر عبر سيناء بل أن للأنباط نشاط تجاري واسع مع بلاد مصر وليس أدل على ذلك سوى النقوش النبطية الكثيرة الموزعة في مناطق عديدة في مصر ومن الواضح أن وفرة النقوش النبطية على طول الطرق التجارية الشمالية ولاسيما الطريق القادم من ميناء هرموس إنما يعود إلى قرب هذا الميناء من موانئ الأنباط الواقعة في شمال جزيرة العرب وأشهرها الميناء المعروف باسم (لويكي – كومي) وأن النقوش النبطية التي كشفت هناك فيها من النقوش السينائية مما يدل على النشاط التجاري للأنباط أيضاً عبر منطقة سيناء[٤٥] .

أن علاقات الأنباط مع بلاد مصر في ظل الاحتلال البطلمي على الرغم من كون السمة العامة له بأنه علاقات سلبية حاول فيها البطالمة إنهاء دور الأنباط الا

أن هذه العلاقات كان لها تأثير في جوانب الحياة الأخرى فقد تأثرت حضارة الأنباط ولاسيما في فن العمارة النبطية بغيرها من الحضارات فأننا نلمس تأثير الفن المصري في عناصر الواجهات في البتراء[٤٦] وكذلك نجد التأثير الهلنستي في استعمال الأعمدة الكورونثية وغيرها[٤٧] كما أخذ الأنباط عن اليونان الأعمدة ولكنهم طوروها ونتج عنها التاجيات النبطية الخاصة بهم[٤٨] كما إنهم تأثروا باليونان في موضوع ضرب النقود أيضاً[٤٩] ومن هذه النقود ما عرف في أيام الملك النبطي عبادة الثاني باسم النقد البطلمي أي إن وزنه وزن النقد البطلمي وكذلك فقد آخر عرف بالنقد اليوناني[٥٠].

أما عن مقابر الأنباط فأنها قد نحتت في صخور الجبال على نمط مقابر المصريين وأن كانت مقابرهم أقل فخامة من المقابر المصرية التي ازدانت جدرانها الداخلية بالرسومات الملونة والنقوش أما المقبرة النبطية فتتكون من حجرة واحدة خالية من النقوش والرسومات[٥١] وأن أقدم نقش عربي في مصر يوضح العلاقة العربية المصرية كما أنه يلقي ضوءاً على نشاط العرب في مصر ليس في عهد البطالمة فحسب بل أنه يوضح مدى اندماج العرب في مصر واتباعهم العادات المصرية ذلك النقش هو الذي يعرف بنقش (زيد ايل) المدون على تابوته[٥٢].

علاقات الأنباط مع مصر في ظل الاحتلال الروماني :

بدأت علاقات الأنباط بالرومان في بلاد الشام في أثناء زحفهم لاحتلال هذه البلاد إذ زحف القائد العسكري الروماني (جنايوس بومبيوس – ١٠٦-٤٨ ق.م Cnaues pompeias)[٥٣] جنوباً إلى سوريا حيث كانت فيها حيث كانت فيها فوضى سياسية[٥٤] وقضى بومبيوس سنة ٦٤ ق.م وجانباً من سنة ٦٣ ق.م في إعادة النظام إلى ربوع سوريا وأنهمك في الاستعداد للحملة التي أعتزم القيام بها على البتراء[٥٥] عاصمة النبط الا أنه تراجع عن ذلك وأعاد مدينة دمشق إلى الأنباط[٥٦] وفي أثناء معارك الرومان في بلاد الشام عقد (سكورس) الحاكم

الروماني اتفاقية مع ملك الأنباط (الحارث الثالث) حسماً للنزاع وحلاً لتحرشات العرب بحدود الإمبراطورية وافق بموجبها ملك الأنباط على المحافظة على الأمن وعلى التعاون مع الرومان في هذا الشأن[٥٧] .

وأنقذ العرب الأنباط (يوليوس قيصر – Julius Caesar) من المأزق الحرج الذي وقع فيه وهو يحاول أن يهيمن على الأوضاع في الإسكندرية وذلك في العام ٤٧ ق.م حيث أنجده ملك الأنباط (مالك الأول بن عبادة) بنجدة ساعدته على إنقاذه من الوضع والمأزق الذي كان فيه[٥٨].

تمكن الرومان في معركة (اكتيوم Actium) من إنهاء حكم البطالمة وإدخال مصر تحت سيادة ونفوذ روما وذلك عام ٣٠ ق.م وبذلك سقطت الدولة البطلمية في مصر[٥٩] وكان ذلك في عهد القيصر الروماني (اغسطس) الذي يعد من أهم القياصرة الذين وجهوا أنظارهم إلى الشرق إذ نرى الاستيلاء على بلاد العرب وربما على ما وراء بلاد العرب من أرضين وكانت غايته من هذه النية كما قال سترابو (أما أن يسترضي العرب وأما أن يخضعهم . كما أنه فعل في نفسه الروايات الشائعة منذ القدم أن العرب قوم واسعوا الثراء وأنهم يستبدلون الفضة والذهب بعطرهم وحجارتهم الكريمة من دون أن ينفقوا مع الغرباء ما يحصلون عليه في مقايضاتهم التجارية فأما أحد أمرين أما أن يحصل على اصدقاء موسرين وأما أن يتغلب على أعداء موسرين[٦٠].

لذلك فأن (أغسطس) أمر بإصلاح ما كان قد فسد في مصر بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة التي حدثت في أيام البطالمة فتم أصلاح الطرق وتطهير القناة وأوعز إلى حكم مصر (اليوس جالوس Aelius Gallas) بغزو جزيرة العرب وذلك سنة ٢٥/٢٤ ق.م[٦١] وقد وضع القيصر آماله على هذه الحملة من خلال اعتماده على مساعدة الأنباط للرومان الذين كانت تربطهم معاهدة تحالف منذ أن أحتل الرومان بلاد الشام وكان ملك الأنباط أيام الحملة هو (عبادة الثاني Obadas II- ٢٨-٩ ق.م) وقد وعد الرومان خيراً ، وعدهم

بتقديم المساعدات لهم بإرسال المرشدين وتقديم الجنود ووضع وزيره المدعو (Syllaeas) تحت تصرفهم ليكون دليلاً لهم ومستشاراً[٦٢] .

اتجهت الحملة بحراً من الساحل المصري إلى ميناء (لويكة كومة) الذي يعد من أهم موانئ الأنبار بل أنه ميناء النبط الأعظم[٦٣] وقد سارت الحملة بعد ذلك براً نحو الجنوب الا أن نتيجتها كان الفشل وقد حاول (سترابو) صديق قائد الحملة (اليوس جالوس) أن يضع كل مسؤولية فشل الحملة على عاتق الوزير النبطي (سلي) وأن يقذفه بتهمة المكر والخداع والتغرير بالجيش الروماني وهنا لابد من سؤال هو كيف يتعاون الأنباط مع الرومان في أمر يعود بالضرر الفادح على مصالح الأنباط فلو نجح الرومان في تحقيق مشروعهم الرامي إلى السيطرة على الطرق التجارية البرية والبحرية واحتلوا بلاد اليمن لأنتهى بذلك دور الأنباط. الا أن الذي يمكن استنتاجه من هذا الموضوع أن هذا التعاون كان عملاً فردياً من الوزير النبطي دون موافقة الملك ودون استشارته إذ يصف (يوسفوس) الملك عبادة بالضعف وفتور الهمة والكسل ووصف وزيره صالح بالقدرة والكفاية على صغر سنه لذلك كان هو المتصرف في الأمور والمدبر لشؤون المملكة ورجل الدولة الحقيقي[٦٤] .

في أثناء عودة الحملة الفاشلة أحتل الرومان ميناء (لويكة كومة) إذ ورد في الأخبار أنهم وضعوا فيه حامية رومانية لحماية مصالحهم وسفنهم كما أنهم انشأوا لهم دائرة لجباية الضرائب قدرت بـ ٢٥% من أثمان البضائع[٦٥] وهذا يعني أن الأنباط تضرروا اقتصادياً من جراء حملة اليوس جالوس والرومان في مصر .

أن فشل هذه الحملة لم يجعل الرومان يتراجعون عن أطماعهم في الهيمنة على بلاد العرب فقد أمر القيصر اغسطس زيادة عدد السفن التجارية في البحر الأحمر والتي تتجه إلى الهند من عشرين سفينة قبل أيامه في السنة الواحدة إلى ما يقارب مئة وعشرين سفينة في السنة الواحدة على أيامه[٦٦] كما أنه أمر

حاكم مصر أن يضع ميناء (برنيقة – الهراس) تحت أمرة قائد يحمل لقب (قائد جبل برنيقي) في ضمن سياسة الهيمنة على البحر الأحمر[٦٧].

عمل الرومان في مصر على تقوية أسطولهم في البحر الأحمر وتحسين علاقاتهم السياسية بالإمارات العربية وبسادات القبائل للمحافظة على مصالحهم الاقتصادية وقد تمكنوا من أن يوسعوا نشاطهم التجاري في البحر الأحمر لذلك فأن الملك النبطي (الحارث أو حارثة الرابع ٩ ق.م – ٤٠م) الذي يعد حكمه من أطول وأزهى الحقب في تاريخ الأنباط حيث تمكن من الحفاظ على استقلال بلاده الواسعة من دون أن يحتك بالرومان[٦٨] لذلك فأن هذا الملك قد لاحظ أن تجارة الأنباط تعرضت لكثير من المنافسة من قبل الرومان في مصر الذين قاموا بسد المنافذ بوجه الأنباط فأبدى أهتمامه بالزراعة وبالتوسع فيها[٦٩] . فضلاً عن قيامه بحركة عمرانية واسعة تركزت في القسم الجنوبي من مملكة الأنباط في مدائن صالح (الحجر) ومن الراجح أن هذا الملك كان يتصور أن الرومان بعد فشل حملتهم السابقة على جزيرة العرب سوف لن يفكروا بالتوغل إلى داخل الجزيرة العربية ، وأن الدولة النبطية يمكن أن تجعل مدائن صالح مثابة لها بالمستقبل[٧٠] ثم نجد أن الأنباط على مر الزمن كانوا قد خسروا الكثير من نشاطهم التجاري البحري بسبب توسع نشاط الرومان في مصر في هذا المجال بل أن طريق التجارة البري الذي يصل إلى البتراء وغزة أخذ بالتضاؤل[٧١] ولكل ذلك نجد أن حارثة الرابع بذل جهوداً كبيرة لتوفير استقرار زراعي يؤمن لشعبه وسائل العيش فيما إذا ضعف النشاط التجاري ولعل آثار نظام متقدم لحفظ مياه الأمطار ومن ثم الاستفادة منها في أرواء الأراضي الصالحة للزراعة أنما تعود إلى عهد هذا الملك[٧٢].

وإذا كانت علاقات دولة الأنباط بمصر في عهد الاحتلال الروماني قد ضعفت من ناحية النشاط التجاري البحري بسبب هيمنة الرومان على هذا النشاط فأن ذلك لا يعني انقطاع علاقات الأنباط بمصر فقد ظل النشاط التجاري البري

قائماً بين الطرفين وذلك عبر الطريق التجاري البري الذي يمر عبر سيناء وأن دليلنا على تلك العلاقات التجارية هي النقوش النبطية الكثيرة المنتشرة في صحراء مصر الواقعة شرق النيل[٧٣] إذ من الواضح أن وفرة النقوش النبطية على جوانب الطرق التجارية الشمالية وبالذات الطريق القادم من سيناء حيث عثر على جانبيها على الكثير من النقوش النبطية السينائية[٧٤].

وبعد وفاة الملك حارثة الرابع تولى العرش أبنه مالك الثاني الذي في عهده كما يقال أخذت دولة الأنباط في الانحدار والتدهور وأن مثل هذا القول لا يمكن الأخذ به بشكل مطلق إذ من الممكن القول أن فقدان الأنباط لجانب كبير من نشاطهم التجاري الذي ابتدأ قبل حكم حارثة الرابع قد أخذ يفعل فعله في قوة الدولة وبنيتها[٧٥] وقد أزداد الأمر سوءاً عندما تولى العرش الملك الأخير (رب ايل الثاني ٧٠-١٠٦ م) الذي أخذ يقضي معظم أوقاته في مدينة بصرى وتلك كانت بداية غروب مجد البتراء حيث أمر الإمبراطور الروماني (تراجان ٩٨-١١٧م) قائده (كورنيليوس بالما) بالاستيلاء على عاصمة الأنباط البتراء وذلك عام ١٠٦ م وتحويل البلاد إلى ما سمي (الولاية العربية) أو (الكورة العربية Provincia Arabia-)[٧٦] وقد أستعان الرومان بعدد من الجنود المصريين في الأستيلاء على البتراء[٧٧].

الهوامـــش :

1. G, Elliot Smith, Ancient Egyptians, London and New York 1911 , pp 87-88 / H.A. Macmichael, A history of the Arabs in the Sudan, 2nd edition , London , 1967, vol. 1 , p 31 / Y.F. Hasan, the Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967, p. 12 .

عابدين، عبد المجيد ، دراسات سودانية ، ط٢ ، الخرطوم ١٩٧٢ ، ص١٩ وما بعدها ، المؤلف نفسه . دراسات في تاريخ العروبة فـــي وادي النيـــل ، ملحـــق بكتاب البيان والأعراب للمقريزي . القاهرة ١٩٦١ ، ص٧٧ .

٢. محمد، محمد عبد القادر . العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة، بحث منشور في كتاب مصادر تاريخ الجزيـــرة العربيـــة ، ج١ الريـــاض ١٩٧٩ ص١٣ / حزين، سليمان ، سكان مصر ودراسة تاريخهم الجنسي ص٣٠-٤٠ .

3. E. Navile, the origin of Egyptian civilization Smithsonian rep 1907 , pp. 459-564 (citing piling) .

فخري، أحمد ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ط٢ القاهرة ١٩٦٣ ص١٣٤-١٣٦.

٤. خليفات، عوض محمد ، مملكة ربيعة العربية فـــي وادي النيـــل ، ط١ ، عمان ١٩٨٣ ، ص٤٨ .

5. E. Glaser, Die Abessinier in Arabian and Africa , 1905 pp 42 ff . C. Conti Rossini, Sugli Habasat, Rendiconti della Accademia dei lincei, 1906 , pp. 40-59 نقـــلاً عـــن خليفات.

6. Strabe, The geography of strabo , translated by , J. Jones of London 1959 , vol. 8 , pp. 71-85/see also G.W. Murry, Sonsmael , London, 1935 , p. 21 نقلاً عن خنيفات (ص٤٩).

7. M.A. Mac Michael, A history of the Arabs in the Sudan, vol, 1 , p. 6-7 (citing Herodotus) نقلاً عن خنيفات (ص٥٠).

8. J.P. Mahaffy, A history of Egypt under the ptole maic dynasty, London , 1898 , pp. 20-21 / M.A. MacMicaheal Op. cit. p. 7 .

٩. علي، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٢ ، ص٢٢ .

١٠. هو الإسكندر الثالث ويلقب عادة الاسكندر الأكبر والأكندر المقدوني ، ولد عام ٣٥٦ ق.م واعتلى عرش مقدونيا عام ٣٣٦ ق.م خرج قائداً لحملته الكبرى في ربيع عام ٣٣٩ ق.م ودخل مصر عام ٣٣٢ ق.م/لمزيد من المعلومات : أنظر علي، عبد اللطيف أحمد ، محاضرات في العهد الهلينستي ، بيروت ١٩٧٦ ، ص٧٤ وما بعدها . بدأت دولة البطالمة في عهد بطليموس الأول الذي وصل إلى مصر وقد نصب عليها ٣٢٣ ق.م/ أنظر نصحي، إبراهيم ، تاريخ مصر في عصر البطالمة القاهرة ١٩٧٦.

١١. عباس، احسان ، تاريخ دولة الأنباط ، ط١ ، عمان ١٩٨٧ ، ص٩-١٠.

١٢. الحوراء : تسمى لبوقة قومة – لبوكة كومة – وتعني القرية البيضاء وهو نفس معنى الحوراء وقد اختلف الباحثون في تحديد مكانها ، أنظر علي، جواد المفصل ج١ ، ص٢٨ / سيد، عبد المنعم عبد الحليم ، الجزيرة العربية ، ص٤٨.

١٣. إيله : هي ميناء ايلات الحالي يقع في رأس خليج العقبة .

١٤. عباس، إحسان ، م.ن ، ص٣٣ .

١٥. يحيى، لطفي عبد الوهاب ، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية ، ص٥٨.

١٦. علي، جواد ، المفصل . ج٣ ص١٧ / المحيسن ، زيدون ، البتراء ص٣٢ .

١٧. علي، عبد اللطيف أحمد ، محاضرات في العهد الهلنستي ، بيروت ١٩٧٦ ص١٥٩/إحسان ، عباس تاريخ الأنباط ص١١٠ يذكر أن القار له فوائد عديدة ويستخدمه المصريون في صنع المجوهرات الزائفة وفي تلوين المعادن .

١٨. سيد، عبد المنعم عبد الحليم، الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر ، ص٤٧ .

١٩. الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ص١٢٤ .

٢٠. جونز أ.هـ.م، مدن بلاد الشام ، ترجمة إحسان عباس ص٥٩/علي جواد المفصل ج٢ ، ص٢٧ .

٢١. يحيى، لطفي عبد الوهاب ، الجزيرة العربية ص٥٨-٦٠ وهناك ثلاثة من أبرز الكتاب والجغرافيين الذين قدموا معلومات مهمة في هذا المجال.

٢٢. البكر، منذر عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص٣٦٠ يقول عن بطليموس أنه كان تاجراً محباً للمال ساعياً لكسبه .

٢٣. علي، جواد ، المفصل . ج٢ ص٢٢ .

٢٤. م.ن ، ج٢ ، ص٢٥ .

٢٥. يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، الجزيرة العربية ص٥٨ .

٢٦. علي، جواد ، المفصل . ج٢ ، ص٢٤٦ .

٢٧. م.ن / البكر، دراسات ص٣٦١ .

٢٨. سيد ، عبد المنعم عبد الحليم ، الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها ص٤٧/ البكر ، دراسات ص١٤٠ .

٢٩. علي، جواد ، المفصل ، ج٢ ص٢٣ .

٣٠. العلي، صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب ص٣٩ .

٣١. Murry, the Rock city petra, p. 80 نقلاً عن : علي، جواد ، المفصل ، ج٢ ص٢١ / الملاح ، الوسيط ص١٢٥ .

٣٢. الملاح، الوسيط ، ص١٢٤ .

٣٣. علي، جواد ، المفصل ، ج٣ ص٢١ .

٣٤. علي، جواد ، المفصل ، ج٢ ص٢٦ .

٣٥. عباس، إحسان ، تاريخ دولة الأنباط ص٣٤ / الطائوريون هم كما ذكرهم جونز ، مدن بلاد الشام ص٥٧-٥٨ حيث يقول هم اليطوريون من القبائل العربية كونت لها مارة في بلاد الشام في لبنان ، أنظر أيضاً البكر ، دراسات ، ص٣٦٣ / ديسو ، رينيه العرب في سوريا ، ص ١٣-١٤ يسميهم الايتوريون .

٣٦. في العصر الراهن نجد أن نفس الشيء يتحدث به الغرب فيصف الفلسطينيين والسودانيين والعراقيين واللبنانيين والليبيين بل وكل العرب الذين يدافعون عن حقوقهم وراضيهم بالأرهابيين بينما يتجاهلون الأحتلال الصهيوني للأراضي العربية وكذلك تواجد القوات والأساطيل الأمريكية في أرض العرب بأنه حق مشروع لهم .

٣٧. علي، جواد ، المفصل ، ج٢ ص٢١ / زغلول ، سعد تاريخ العرب ، ص١٤٣/ الملاح ، الوسيط ، ص١٢٥ .

٣٨. العلي، صالح محاضرات ، ص٤٠ .

٣٩. زغلول ، سعد تاريخ العرب قبل الإسلام ص١٤٣ .

٤٠. زيدان ، جرجي ، العرب قبل الإسلام ، ص٧٤ .

٤١. العلي، صالح محاضرات ، ص٣٠ .

٤٢. علي، جواد ، المفصل ، ج٣ ص٢٥ .

٤٣. علي، جواد ، المفصل ، ج٣ ص١٥ .

٤٤. سيد ، عبد المنعم عبد الحليم، الجزيرة العربية ص٤٧ .

٤٥. المحيسن، البتراء ، ص١٠ .

٤٦. م.ن ص١٠١ .

٤٧. م.ن ص١٠٣ .

٤٨. علي، جواد ، المفصل ، ج٣ ص١٨ .

٤٩. عباس، إحسان ، تاريخ الأنباط ، ص٥٧ / البكر، دراسات ، ص٣٧٠ .

٥٠. محمد، محمد عبد القادر، العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة ص٢٩ .

٥١. سيد، عبد المنعم عبد الحليم، الجزيرة العربية ص٤٦ ص٤٧ / علي، جواد ، المفصل ، ج٢ ص٣٤-٣٥ يعود هذا النقش إلى السنة الثانية والعشرين من حكم بطليموس بن بطليموس ويعتقد أنه يعود لسنة ٢٦ ق.م .

٥٢. علي، عبد اللطيف أحمد ، التاريخ الروماني عصر الثورة من تبريوس جراكوس إلى اكتافيانوس أغسطس ، بيروت ١٩٧٣ ص١٠٢ .

٥٣. علي، عبد اللطيف أحمد ، م.ن ص١٢٩ / علي، جواد ، المفصل ج٣ ص٣٨.

٥٤. علي، عبد اللطيف أحمد ، م.ن ص١٣٠ / علي، جواد ، المفصل ج٣ ص٣٩.

٥٥. علي، عبد اللطيف أحمد ، م.ن ص١٣٨ .

٥٦. علي، جواد ، المفصل ج٣ ص٢٩ و ص٤٠ / جونز ، مدن بلاد الشام ص٦٤ ص٦٥ / الملاح ، الوسيط ، ص١٣٠ .

٥٧. Murray The Rook city Petra P. 102 نقلاً عن علي ، جواد ، المفصل ج٣ ص٤٢ / البكر ، دراسات ، ص٣٦٧ / باشميل ، محمد أحمد، العرب في الشام قبل الإسلام ، ص٢٦ .

٥٨. علي، عبد اللطيف أحمد ، محاضرات في العصر الهلمستي، ص٩١ / البكر ، دراسات ، ص٣٦٧ يذكر أن الأنباط أحرقوا أسطول ملكة مصر

كليوباترا في هذه المعركة وفي ص٣٦٨ يذكر أن كليوباترا طلبت من القائد الروماني مارك انطونيو أن يمنحها المملكتين اليهودية والنبطية.

٥٩. Strabo Xvi, 22 , vol. 111 , p. 209 نقلاً عن علي، جواد ، المفصل ج٧ ص٢٦٦ .

٦٠. علي، جواد ، المفصل ج ٣ ص٤٣ / عباس ، إحسان ، تاريخ الأنباط ص٥٢ / المحيسن ، البتراء ص٣٤ ، زيدان ، جرجي ، تاريخ العرب ص٧٤ يقول واهماً كانت الحملة سنة ١٨ ق.م / يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، الجزيرة العربية ، ص٦١-٦٢ .

٦١. علي، جواد ، المفصل ، ج٣ ص٤٤ / زيدان ، تاريخ العرب ص٧٤ يقول أنه عبادة الثالث / عباس، إحسان ، تاريخ دولة الأنباط ص٥١ يقول أن الوزير اسمه سلي وهو اسم يتردد في النقوش النبطية وهو ترخيم لأسم سليم .

٦٢. علي، جواد ، المفصل ، ج٣ ص٤٥ .

٦٣. عباس، إحسان ، تاريخ الأنباط ص٥٣ وما بعدها / البكر دراسات ص٣٦٩.

٦٤. الملاح، الوسيط ص١٣١ يذكر أن الأنباط ساهموا في المعركة بألف جندي / علي، جواد ، المفصل ، ج٣ ص٣٨ / عباس، إحسان ، م.ن .

٦٥. علي، جواد ، المفصل ، ج٢ ص٤٥ وكذلك ج٧ ص٢٧٢ .

٦٦. م.ن ج٧ ص٢٧٧ / الروبي ، آمال محمد ، مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني ص٩٣ .

٦٧. الروبي، م.ن ، ص٩٢ / علي، عبد اللطيف ، أحمد ، محاضرات ، ص١٥٨ .

٦٨. المحيس، البتراء ، ص٣٥ / عباس ، إحسان ، تاريخ الأنباط ص٥٧ .

٦٩. الملاح، الوسيط ، ص١٣٤ .

٧٠. عباس، إحسان تاريخ الأنباط ص٥٩ .